أمل وتحدي: أصوات الأطفال والمراهقين في زراعة نخاع العظم وعلاج السرطان

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

فبراير 16, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). أمل وتحدي: أصوات الأطفال والمراهقين في زراعة نخاع العظم وعلاج السرطان. عرب سايكلوجي. تم الاسترجاع من https://arabpsychology.com/?p=119077

ARABPSYCHOLOGY.COM

تخيل طفلاً، في السادسة من عمره، يواجه رحلة علاجية قاسية تتطلب منه البقاء في المستشفى لفترة طويلة، بعيداً عن ألعابه وأصدقائه وعائلته. هذا ليس مجرد مرض، بل هو تغيير جذري في حياته اليومية، مليء بالخوف والألم والأمل. هذا هو الواقع الذي يعيشه الأطفال والمراهقون الذين يخضعون لعملية زرع الخلايا الجذعية (Hematopoietic Stem Cell Transplantation - HSCT) كعلاج للسرطان.

منهجية البحث

لطالما ركزت الدراسات السابقة حول زرع الخلايا الجذعية على تجارب الآباء والأطباء، تاركةً أصوات الأطفال والمراهقين أنفسهم غير مسموعة. سدّت دراسة حديثة، أجراها باحثون في مؤسسة رائدة في البرازيل، هذا الفراغ. استخدم الباحثون منهجية البحث السردي (Narrative Research) - وهي طريقة تعتمد على جمع وتحليل القصص الشخصية ـ لفهم أعمق لتجارب هؤلاء المرضى الصغار. اعتمدت الدراسة على النظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism)، وهي إطار نظري يركز على كيفية بناء الأفراد لمعانيهم من خلال التفاعلات الاجتماعية والرموز. أجرى الفريق مقابلات متعمقة مع سبعة أطفال ومراهقين تتراوح أعمارهم بين 6 و 18 عامًا، كانوا يخضعون للمتابعة الطبية بعد عملية الزرع بفترة تصل إلى 18 شهرًا. تهدف هذه المقابلات إلى استكشاف كيف يفهم هؤلاء المرضى تجربتهم، وما هي المشاعر والتحديات التي يواجهونها، وكيف يرون مستقبلهم.

نتائج البحث

كشفت الدراسة عن أن تجارب الأطفال والمراهقين خلال عملية زرع الخلايا الجذعية معقدة ومتشابكة، تتأرجح بين المعاناة والأمل. لم يكن الأمر مجرد صراع مع المرض نفسه، بل كان أيضًا صراعًا مع التغييرات الجذرية في حياتهم، وفقدان السيطرة، والشعور بالوحدة والعزلة. وصف المشاركون في الدراسة شعورًا بالإرهاق والضعف، نتيجة للعلاج الكيميائي والإشعاعي الذي يسبق عملية الزرع، وللمضاعفات التي قد تحدث بعده. تحدثوا عن الألم الجسدي والنفسي، والخوف من الموت، والقلق بشأن مستقبلهم.

ومع ذلك، وسط هذه المعاناة، ظهرت أيضًا بصيص من الأمل. نظر المشاركون إلى عملية الزرع على أنها "فرصة جديدة للحياة"، وأنها بداية فصل جديد في حياتهم. كانت هذه الفكرة بمثابة قوة دافعة لهم، تساعدهم على التغلب على التحديات والصعوبات. اعتبروا أن عملية الزرع هي فرصة للعودة إلى حياتهم الطبيعية، واللعب مع أصدقائهم، وممارسة هواياتهم، وتحقيق أحلامهم.

أظهرت الدراسة أن تجارب المشاركين تأثرت بشكل كبير بتشخيصهم السابق وعلاجاتهم السابقة، مما أدى إلى شعورهم بالإرهاق والضعف في الوقت الحاضر. لكنهم في الوقت نفسه، أظهروا قدرة مذهلة على التكيف والمرونة، واستطاعوا إيجاد معنى وهدف في حياتهم، حتى في ظل هذه الظروف الصعبة.

دلالات البحث

تؤكد هذه الدراسة على أهمية الاستماع إلى أصوات الأطفال والمراهقين الذين يخضعون لعملية زرع الخلايا الجذعية. فهم احتياجاتهم وتوقعاتهم ومشاعرهم أمر ضروري لتوفير الدعم المناسب لهم. يجب على الأطباء والممرضين وأخصائيي الدعم النفسي أن يتعاملوا مع هؤلاء المرضى الصغار كأفراد، وأن يحترموا آرائهم وقراراتهم.

من الضروري أيضًا أن ندرك أن عملية الزرع ليست مجرد إجراء طبي، بل هي تجربة إنسانية معقدة، تتطلب رعاية شاملة

ARABPSYCHOLOGY.COM

ومتكاملة. يجب أن تشمل هذه الرعاية الدعم الجسدي والنفسي والاجتماعي، وأن تركز على مساعدة المرضى على التغلب على التحديات التي يواجهونها، وتحقيق أقصى قدر من جودة حياتهم.

إن فهم الرمزية التي يحملها الأطفال والمراهقون لعملية الزرع ـ كفرصة جديدة للحياة ـ يمكن أن يساعد المتخصصين في الرعاية الصحية على تصميم تدخلات أكثر فعالية، تعزز الأمل والتفاؤل لدى هؤلاء المرضى، وتساعدهم على مواجهة مستقبلهم بثقة وشجاعة. هذه الدراسة تذكرنا بأهمية النظر إلى ما وراء الجوانب الطبية للمرض، والتركيز على الجوانب الإنسانية والعاطفية التي تؤثر على حياة المرضى وعائلاتهم.

Reference

e Garófalo, C.D.D.C. (2026). *Connecting Suffering and Hope: The Experience of Children and Adolescents With Cancer During Hematopoietic Stem Cell Transplantation*. Clinical Child Psychology and Psychiatry.

DOI: 10.1177/13591045251390669

ARABPSYCHOLOGY.COM